

اليوم الآخر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

عباد الله: يوم القيامة يوم عظيم أمره شديد هوله لا يلاقي العباد مثله،

وقد سماه الله بأسماء كثيرة وهي مخيفة ومرعبة، ومنها:

اليوم الآخر: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

ومنها: **الآزفة:** قال تعالى: ﴿يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

ومنها: **يوم البعث:** ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ومنها: **يوم التغابن:** قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾.

ومنها: **يوم التلاق:** قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ

مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٠﴾.

ومنها: **يوم التناد:** وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴿١١﴾.

ومنها: **يوم الحساب:** ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٢﴾.

ومنها: **يوم الحسرة:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾.

ومنها: **يوم الخلود:** وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾.

ومنها: **يوم الفصل:** ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٥﴾.

وفي يوم الجمعة في صبيحتها تقوم الساعة: قال النبي ﷺ: إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال خلق الله فيه آدم وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض وفيه توفي الله آدم وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة. أخرجه ابن ماجه.

أما كيفية قيام الساعة: فأوله النفخ في الصور فيهلك كل شيء، قال

تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾.

وهي الراجفة: فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾.

وبعد أن يموت الجميع؛ فلا يبقى إلا الله تعالى يتغير نظام الكون: **أما**

الجبال: فتمر بأربع مراحل:

المرحلة الأولى: تسير الجبال سيرًا سريعًا وتخيّلوا معي هذه الصم الصلاب

كيف أنّها تمشى وتشق الأرض شقًا، قال تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال

وتري الأرض بارزة﴾. وقال تعالى: ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابا﴾ وقال

تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾.

المرحلة الثانية: وهي تسير بسرعة فإذا بها تتفجر وتخيّل سلسلة الجبال

العملاقة وهي تتفجر كاملة ثم تتكوم كالحجارة: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ

كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾.

المرحلة الثالثة: تتفجر التفجير الثاني فتصبح حجارتها مسحوقة ككثبان

الرمال: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾.

﴿وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا﴾.

المرحلة الرابعة: ينسف الله تلك الجبال التي أصبحت جبالا من رمال

فيسويها بالأرض ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيدورها

قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امثا﴾.

وفي هذه الأثناء ومع مشهد ما يحصل للجبال هناك مشهد البحار التي

تمر بمرحلتين:

المرحلة الأولى: تتفجر ﴿وإذا البحار فجرت﴾.

والمرحلة الثانية: تنقلب البحار نارا، قال تعالى: ﴿وإذا البحار سجرت﴾. ﴿والبحر المسجور﴾.

وفي ذات الوقت هذه **الشمس وهذا القمر:** أولاً: يذهب الله بنورهما فتظلمان، قال تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾. وقال تعالى: ﴿وخسف القمر﴾.

ثانياً: يصطدمان ببعض، ولك أن تتخيل تصادمهما، ﴿وجمع الشمس والقمر﴾. **مع ظلمتهما.**

أما الكواكب والنجوم: فإنها تظلم كالشمس والقمر، ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾. ﴿فإذا النجوم طمست﴾. ثم تتناثر في كل الكون وبعدها تتساقط على الأرض وتمطر السماء يومئذ نجومًا فلا يبقى نجم الا وقع، قال تعالى: ﴿وإذا الكواكب انثرت﴾.

أما السماء: فتمر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تدور **دوراناً** سريعاً، قال تعالى ﴿يوم تمور السماء مورا﴾. **المرحلة الثانية:** من شدة سرعتها مع ضخامتها تبدأ تشقق وتضعف وتكبر شقوقها حتى كأنها أبواب ﴿إذا السماء انشقت﴾. وقوله تعالى ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾. وقوله: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾. وقال: ﴿السماء منفطر به﴾. وقال: ﴿إذا السماء انفطرت﴾.

وقال: ﴿ذا السماء فرجت﴾. وقوله تعالى: ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾.

المرحلة الثالثة: تسيل هذه السماء وتتساقط على الأرض مثل الزيت قال ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾. وقوله: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾. حتى إذا تكاملت عدة الموتى، وخلت من سكانها الأرض والسماء، فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حس يسمع، ولا شخص يُرى، وقد بقي الجبار الأعلى كما لم يزل أزلياً واحداً منفرداً بعظمته وجلاله، ثم لم يفجأ روحك إلا بنداء المنادي لكل الخلائق معك للعرض على الله عز وجل بالذل والصغار منك ومنهم.

فتوهم كيف وقع الصوت في مسامعك وعقلك، وتفهم بعقلك بأنك تدعى إلى العرض على الملك الأعلى، فطار فؤادك، وشاب رأسك للنداء، لأنها صيحة واحدة للعرض على ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء، فبينما أنت فزع للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض عن رأسك، فوثبت مغبراً من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك، قائماً على قدميك، شاخصاً ببصرك نحو النداء، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة، وهم مغبرون من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم.

فتوهم نفسك بعريك ومذلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق، عراة حفاة صموت أجمعون بالذلة والمسكنة والمخافة والرهبة، فلا تسمع إلا همس أقدامهم وصوت المنادي، والخلائق

مقبلون نحوه، وأنت فيهم مقبل نحو الصوت، ساع بالخشوع والذلة، حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس عراة حفاة.

ثم أقبلت الوحوش من البراري وذرى الجبال منكسة رؤوسها لذل يوم القيامة بعد توحشها وانفرادها من الخلائق ذليلة ليوم النشور لغير بلية نابتها ولا خطيئة أصابتها، فتوهم إقبالها بذلها في اليوم العظيم وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها خاشعة لذل العرض على الله سبحانه فسبحان الذي جمعهم بعد طول البلاء، واختلاف خلقهم وطبائعهم وتوحش بعضهم من بعض، قد أذلم البعث وجمع بينهم النشور.

حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجننها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها، واستووا جميعاً في موقف العرض والحساب كسيت الشمس حرا شديدا وأدريت من رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظلٌّ لأحد إلا ظل عرش رب العالمين، فمن بين مستظل بظل العرش، وبين مضح بحر الشمس، قد صهرته بحرها، واشتد كربه وقلقه من وهجها، ثم ازدحمت الأمم وتدافعت، فدفعت بعضهم بعضاً، وتضايقت فاختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش، واجتمع حر الشمس ووهج أنفاس الخلائق وتزاحم أجسامهم، ففاض العرق منهم سائلاً حتى استنقع على وجه الأرض ثم على الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند الله عز وجل بالسعادة والشقاء، حتى إذا بلغ من بعضهم العرق كعبيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمه أذنيه، ومنهم من كاد أن يغيب في

عرقه، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الكافر يلجم بعرقه يوم القيامة من طول ذلك اليوم، حتى يقول: رب أرحني ولو إلى النار". الطبراني في المعجم الكبير.

وأنا وأنت لا محالة أحد الموجودين هناك، فتوهم نفسك وقد علاك العرق، وأطبق عليك الغم، وضائق نفسك في صدرك من شدة العرق والفرع والرعب، والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء.

مثل لنفسك أيها المغرور... يوم القيامة والسماء تمور
إذ كورت شمس النهار وأدريت... حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت... وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها... ورأيتها مثل الجحيم تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها... فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت... خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت... وتقول للأملاك أين نسير
وإذا الموؤدة سئلت عن شأنها... وبأي ذنب قتلها ميسور
وإذا الجليل طوى السما بيمينه... طي السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت... تبنى لنا يوم القصاص أمور
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت... وتهتكت للمؤمنين ستور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها... ورأيت أفلاك السماء تدور

وإذا الجحيم تسعرت نيرانها ... فلها على أهل الذنوب زفير
وإذا لجنان تزخرفت وتطيت ... لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمه متعلق ... يخشى القصاص وقلبه مدعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية ... كيف المصر على الذنوب دهور

** ** *

الخطبة الثانية

الحمد لله العلي الأعلى، الولي المولى، الذي خلق فسوى، والذي قدر
فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى، الذي خلق وأمات
وأحيا؛ لتجزى كل نفس بما تسعى. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، له الملك والأمر، وهو على كل شيء قدير.

قال رسول الله ﷺ: (من كانت همه الآخرة جمع الله له شمله، وجعل غناه
في قلبه، وأتته الدنيا راغمة. ومن كانت همه الدنيا فرّق الله عليه أمره،
وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب الله له). الطبراني في
المعجم الكبير.

نسمع مثل هذا الحديث، ثم نرى تلك الهموم الدنيوية التي هي حديث
مجالسنا، فتارة عن مشاريع تجارية، وتارة معمارية، وتارة وظيفية، وأخرى
عن المركب أو عن الملابس أو المشرب، فتجد أن هموم الكثير كثيراً ما تتعلق
بدنياه.

لكن أين هم الآخرة؟! هكذا كان هم الآخرة وتعلق القلوب بها، خطب

عثمان بن عفان، فقال: ابن آدم! اعلم أن ملك الموت الذي وُكِّل بك لم يزل يخلفك ويتخطى إلى غيرك مذ أتيت في الدنيا، وكأنه قد تخطى غيرك إليك وقصدك، فخذ حذرَكَ واستعد له، ولا تغفل فإنه لا يُغفل عنك، واعلم يا ابن آدم أنك إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لها، لن يستعد لها غيرك ولا بد من لقاء الله، فخذ لنفسك ولا تكل نفسك إلى غيرك والسلام. ابن عساكر في تاريخه.

ومر الحسن البصري مع رجل معه على جنازة فقال الحسن لصاحبه: أترى هذا الرجل إذا رجع للحياة يعمل صالحاً؟ قال: نعم، قال: فكن أنت ذلك الرجل.

عباد الله: نحن قومٌ مسافرون، والطريق طويل، والعقبات كثيرة، فلنتزود لآخرتنا من ديانا، ولا تلهنا هذه الدنيا عن غايةٍ فنضل عن الطريق. فلنتزود بتقوى الله، فإنه زادٌ سيصبح ثمنه غالياً، وترتفع سوقه، ويربح طالبه: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

لا ألفينك أو تلفيني وقد انقضت حياتنا، وولت عنا الدنيا مدبرة، ونظرنا إلى ماضي أيامنا، فإذا بنا نشاهد ماضي أليماً، وأياماً سوداء قائمة قضيناها في عصيان رب العالمين، وقد خدعنا من الحياة مظهرنا، وغرنا من الحياة زخارفها لا ينفع أحدٌ من المال إلا ما قدم لنفسه وأنفقه في سبيل الله عز وجل، فأما ما أكله ولبسه فإنه لا له ولا عليه؛ إلا أن يكون فيه نية صالحة، وأما ما خلفه وتركه فهو لورثته لا له، وإنما هو خازن لورثته، فأما

ما أنفقه في المعاصي فهو عليه لا له، وكذلك ما أمسكه ولم يؤد حق الله عز وجل فيه فهو عليه لا له.

أيها الأحبة! الحديث كثير، ولكن نريد أن يكون العمل كثيراً أيضاً، يقول الله عز وجل في شأن من طبق ما علم، ونفذ ما سمع، وانتصح واتعظ بما وعظ، وعلينا أن نعلم أن الكلام الذي نقوله ونسمعه حجة علينا يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا * وَإِذَا لَا تَأْتِنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

أربع فوائد عظيمة لمن يبادر ويطبق هذه المعلومات، ويجول العاطفة والالتزام إلى برنامج عمل.

فالبدار البدار إلى الله عباد الله. واعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال جل من قائلٍ عليمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم صلى وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه وسلم.
اللهم أبرم لهذه الأمة أمة الإسلام أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهي فيه عن المنكر يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أصلح للمسلمين ولاة أمورهم اللهم أصلح لولاة أمور المسلمين بطانتهم اللهم أصلح للمسلمين شعوبهم صغارهم وكبارهم ذكورهم وإناثهم يا رب العالمين.

اللهم وفق ولي أمرنا بتوفيقك، وأيده بتأييدك، اللهم وفقه لهداك، واجعل
عمله في رضاك، واجزه اللهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.